المسائل الخلافية بين المدرستين الكوفية والبصرية ودورها في إثراء الفكر اللغوي والنحوي

د. أحمد عبد الله محمد النهمي *

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة أثر المسائل الخلافية بين المدرستين البصرية والكوفية في إثراء الفكر اللغوي والنحوي وما أحدثته هذه الخلافات بين المدرستين من ثورة في إثراء الفكر اللغوي بشكل عام والنحوي بشكل خاص قديماً وحديثاً، وما ترتب على هذه الثورة من عصف ذهني لعقلية هذه الأمة، وما أنتجته هذه الثورة من أفكار وآراء ومقترحات بعد مخاض عسير بين مؤيد معه دليله ومعارض يقدم حجته وبرهانه، إن هذا المخاض الموصوف بالعسر سابقاً دفع بالعقل العربي إلى الاستقراء والبحث في اللغة والنحو فكانت النتيجة مادة خصبة وغنية في جوانب اللغة كلها؛ فالأمثلة كثيرة والشواهد متعددة، والعقل العربي يوازن بين هذه الأمثلة وتلك الشواهد، ويحلل، ويفسر، ويقيّم، ويختار.

قامت المناظرات، ونطقت المجالس، وتحركت عقلية الأمة في المجامع اللغوية ومجالس الدرس اللغوي، وأنشئت مذاهب نحوية أخرى مبنية على الرأي والدليل، وسعى القائمون والمخلصون من أبناء هذه الأمة لإيجاد رؤية جديدة ميسرة لإصلاح النحو العربي وتيسيره، قدّموا حلولاً ووضعوا مقترحاتٍ، ولم يلزموا أحداً بأخذ هذه وترك تلك.

وخلاصة القول: إن دراسة هذه المسائل الخلافية في النحو العربي قد أحدثت ثورة في الفكر العربي ما تزال مفتوحة بانفتاح هذا الفكر وحية بحياة هذه الأمة وبكتابها الخالد. وهذا البحث يتطرق لهذه القضايا كلها وغيرها من القضايا اللغوية والنحوية التي أثريت بسبب ما أحدثته الخلافات النحوية من تحريك لعقلية هذه الأمة.

---

* جامعة ذمار ــ كلية الآداب ــ قسم اللغة العربية.

المقدمة

إن دراسة لغات العرب التي نزل بها القرآن الكريم أتاحت للباحثين فرصة كبيرة للتعرف على ما في هذه اللغات من ظواهر صوتية أو صرفية أو تركيبية أو إعرابية تؤدي إلى تغيير المعنى، فكان لزاماً على الباحثين القدامى أن يخرجوا إلى البوادي، يسمعون ويدونون ، ثم يدرسون ما جمعوه من لغات ، ويصنفونها ثم يوازنون ما جاء في كتاب الله عز وجل على ما جمعوه، إذ يحكمون كتاب الله عز وجل على ما جمعوه.

هكذا نشأ علم العربية أو النحو العربي بما فيه من قواعد وأقيسة على أيدي علماء نذروا أنفسهم لخدمة كتاب الله عز وجل ، وخدمة اللغة العربية ، من علماء البصرة والكوفة ، فكانت البصرة سباقة في دراسة وتأصيل النحو العربي مما حدا برجال الكوفة الذهاب إلى البصرة لدراسة النحو البصري بكل ما فيه من مادة وقواعد وأقيسة ومنهج ، وأضافوا إليه ما سمعوه متوسعين في السماع والقياس[1]، ومن هنا ظهرت ملامح المدرستين المؤسستين للنحو العربي ، وقد ظهر بناءً على ذلك اختلاف في وجهات النظر بين هاتين المدرستين (البصرية والكوفية) ، وقد حصر هذه الاختلافات اللغوية والنحوية أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي ت(513 – 577 هـ) في كتابه : (الإنصاف في مسائل الخلاف)[2] في مائة وواحدة وعشرين مسألة في اللغة والنحو.

وقد أحدثت هذه المسائل الخلافية ثورة في إثراء الفكر اللغوي والنحوي قديماً وحديثاً نوجز بعضها فيما يلي :

(1) إن دراسة الخلافات النحوية بين المدرستين أتاحت لعلماء اللغة والباحثين، والمهتمين بالفكر العربي كلهم المتمثل في النحو العربي؛ أتاحت لهم ولغيرهم الاستقراء – استقراء اللغة والنحو العربي تحديداً حيث أعطى هذا الاستقراء لهؤلاء الباحثين مادة خصبة وغنية في نواحي اللغة كلها، فصارت لديهم الشواهد الكثيرة، والأمثلة المتنوعة بحيث تكون بحوثهم أدق وأضبط، وتكون الاستنتاجات التي يتوصل إليها سليمة وحكيمة.

(1) أتاحت دراسة الخلافات النحوية بين المدرستين البصرية والكوفية مجالات للدراسات الموازنة والمقارنة بين المدرستين، فيوضح ما فيهما من تشابه واختلاف، ومعرفة الضوابط والقوانين التي تنظم كل مدرسة على حدة، إذ يرى الدكتور مهدي المخزومي –رحمه الله - أن الدرس النحوي منذ أواسط القرن الثاني الهجري سار في اتجاهين مختلفين[3]، كان سيبويه وتلاميذه يمثلون اتجاهاً، وكان الكسائي وتلاميذه يمثلون اتجاهاً آخر، وكان الدارسون القدماء يعرفون هذا، ويدركون الأسس المذهبية التي كان عليها الاتجاهان، فكان الاتجاه الأول هو اتجاه البصريين الذين سبقوا إلى الدرس النحوي، وكان الاتجاه الثاني هو اتجاه الكوفيين الذين خرجوا إلى بغداد - فيما بعد- وأقاموا فيها.

إن هذه الاختلافات أتاحت نوعاً من الموازنة والمقارنة والاختيار خصوصاً في بغداد في بادئ الأمر، ثم في الأقطار الأخرى بعد ذلك. لأن الدرس النحوي في بغداد بدأ كوفياً – كما ذكرت ذلك الدكتورة خديجة الحديثي، وظل كذلك إلى أن جاء المبرد واستطاع بما يمتلك من حنكة وذكاء وبداهة وتفوق في الجدل والمناقشة علاوة على استيعابه لكتاب

سيبويه، استطاع أن يجذب إليه كثيراً من الطلاب، وأن يضع بصمات النحو البصري، إلا أن بعضاً من الطلاب والدارسين حاولوا أن يوازنوا ويسددوا ويقاربوا، بل حاولوا أن يوجدوا درساً نحوياً له خصائصه المميزة، وهكذا نشأ النحو في بغداد على أيديهم؛ فهم كوفيون لا يؤمنون بآراء البصريين، أو بصريون لا يؤمنون بآراء الكوفيين أو ممن جمع بين المذهبين.

(2) تتيح دراسة الخلافات النحوية لعلماء اللغة معرفة التطور الذي حدث للغة في الأصوات والصيغ والتراكيب، علاوة على أن الدلالات قد تتطور إلى دلالات أخرى إما إيجاباً أو سلباً، أو تبقى كما هي.

(3) تتيح دراسة هذه الخلافات الفرصة للباحثين للتفريق بين الخطأ والتطور. وأن كل لغة مع الزمن يعروها التحول وذلك لصلتها الوثيقة بأحوال متكلميها، فاللغة تطورت حتى بعد عصر الاحتجاج، وهذا التطور ليس خطأ على مستوى الصوت والصيغة والدلالة.

(4) تتيح دراسة هذه الخلافات معرفة أسباب ونتائج التطور، ومدى إقرار إدخال بعض هذه الألفاظ أو إنكارها. وإدخال البعض الآخر.

(5) تتيح دراسة الخلافات النحوية استنتاج القوانين العامة، سواء في مجال الصوت أو الصرف أو التركيب أو الدلالة للمفردة، إذ قد تتغير دلالة المفردة عما كانت عليه قديماً. نتيجة لتغير حكم أو قانون، وهكذا ولدت ألفاظ جديدة للتعبير عن المعاني الجديدة، فالإنسان قد يهجر ألفاظاً كان قد ألفها للتعبير عن شيء معين، وذلك بعد أن انقطعت صلته بذلك الشيء مع مرور الأيام[4]، وخصوصاً عند مجيء الإسلام ظهرت ألفاظ واندثرت ألفاظ لاندثار الحكم أو القانون الذي كان يتعامل به قبل مجيء الإسلام لما فيه من ظلم، ومن ذلك الألفاظ الآتية: (المرباع – الصفايا- النشيطة- الفضول). يقول الشاعر عبد الله بن عنمة الضبي مصوراً هذه الأحكام المغلوطة:

لكَ المرباعُ منها والصفايا

وحكمُك والنشيطةُ والفضولُ

يتحدث الشاعر في هذا البيت عن الحقوق والمزايا التي كان يأخذها رئيس القوم . ظلماً . قبل الإسلام إذا غنموا، وقد أبطل الإسلام الحكم بهذه الأشياء، ومع إبطاله لهذه الأحكام أهملت الألفاظ التي تحمل هذه الأحكام الجائرة.

فالمرباع: ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة.

والصفايا: ما يصطفيه الرئيس من الغنائم.

والنشيطة: ما أخذ من الغنيمة قبل الوصول إلى مجتمع الحي.

الفضول: ما عجز أن يقسم لقلته.

جاء الإسلام فأبطل هذه الأحكام الجائرة، ومع إبطال هذه الأحكام اندثرت هذه الألفاظ واندثرت معها معانيها، وكيفية التعامل مع دلالتها، وهكذا ماتت ألفاظ بانعدام الحاجة إليها، وهكذا تموت، لأن النظام الصوتي بعيد البعد كله عن أن يكون ثابتاً طوال تطوير لغة من اللغات، وظهرت ألفاظ جديدة استدعتها ظروف المرحلة وظهور الإسلام وهي ألفاظ كثيرة، منها: التيمم و الصلاة والصيام والزكاة والحج والمنافق و الكافر والفاسق.. وغيرها.

ومن هنا أتاحت دراسة الخلافات النحوية معرفة اللغة معرفة عميقة تكشف مدى خصائصها، ومدى تطورها، ومدى فقدان دلالة بعض ألفاظها، ومدى ظهور ألفاظ جديدة.

(6) إن دراسة الخلافات النحوية ينير لنا جوانب من عقلية الأمة التي تتكلم بهذه اللغة، فالاشتقاق مثلاً خاصية انفردت بها اللغة العربية الفصحى، ودلت هذه الظاهرة على مدى حيوية هذه اللغة، وقدرتها على النمو، بل إن هذه الخاصية تمثل جانباً من أخلاق الأمة، فالعرب كما حرصوا على معرفة أنسابهم حرصوا كذلك على معرفة أنساب الألفاظ اللغوية، فالكلمة العربية لها نسب كنسب العربي الذي يتكلم بها[5]، مهما تغير شكلها بتغير معناها، تظل محتفظة بأصلها أو بجذرها، وهي الأحرف الأصلية الثلاثية التي تظل تدور معها، مهما تغير بناؤها بسبب تغير وظيفتها. وإذا رجعنا إلى المعاني الأصيلة لطائفة من المفردات تكشف لنا عن عقلية هذه الأمة، وتنير لنا جوانب من طرائقها في الحياة، وعاداتها وتقاليدها في حياتها الاجتماعية، كما أن من المعاني الأصلية ما يكشف لنا عن تأثر المتحدثين باللغة بالبيئة التي يعيشون بها.

فالكلمات (العقل) و (الصداقة) و(الجار) تمثل لنا منحى العرب في فهم مدلولات هذه الألفاظ.

فالعرب ينظرون إلى العقل على أنه يربط الإنسان، ويمنعه من الشطط، في حين أن أمماً أخرى تأخذ مدلول العقل من الذكاء. والعرب يفهمون (الصداقة) قائمة على الصدق، أما غيرهم فقد اشتقوا مفهوم هذه اللفظة من المحبة.

والعرب يرون الجار مسئولاً عن حماية من ينزل بقربه، والدفاع عنه، لأنهم أخذوا الكلمة من (أجاره) أي: حماه، وذبّ عنه، في حين أن غيرهم أقاموا مفهوم هذه الكلمة على تقارب المساكن.

وكلمة (صفقة) التي كانت تستعمل عند البيع تصور لنا وضعاً ماضياً كان يحدث بين المتبايعين، ومعناها: ضرب اليد على اليد. وكلمة (السياق) بمعنى (المهر) تشير إلى أن مهر المرأة في حقبة من تأريخ العرب كان عبارة عن عدد من الماشية كالغنم والجمال ونحوهما.

ولما كشفت المفردات السابقة الذكر عن جوانب من عقلية العرب وتقاليدهم، كذلك كشفت طائفة أخرى من الألفاظ عن نوع البيئة التي عاشوا فيها. فأقوال العرب:

- (سقى الله عهده).
- (شفى الله غليله).
- (أقر الله عينه).

هذه الجمل تصور لنا أنهم كانوا يعيشون في بيئة صحراوية، يعانون فيها العطش، ويكابدون حرارة الشمس، فهم يتطلعون إلى الماء، ويحنون إلى البرد، ومن هنا كانوا يدعون لمن يحبون بالري وبرد الكبد أو العين، فالماء والبرد كانا نعمتين عند العرب لا تعدلهما النعم الأخرى.

كما أن هناك من الألفاظ ما يوضح لنا علاقة العرب بغيرهم من الأمم، واحتكاكهم بهم، ومنها ما يسمى بالمعرَّب والدخيل، وهذا ما يثبت لنا جوانب من عقلية هذه الأمة.

(7) إن دراسة الخلافات النحوية جعلت مجامع اللغة العربية تدخل في اللغة ما يسمى بالمعرب والدخيل والمولّد، وبهذا تم إثراء اللغة من ناحية، وأثبتت اللغة العربية الفصحى مرونتها من ناحية أخرى. ومثال ذلك المعجم الوسيط الذي صدر عن مجمع اللغة العربية في مصر[6]، إذ أحدث هذا المعجم. عند صدوره . ثورة وحراكاً فكرياً بين اللغويين والمثقفين العرب من ناحية، وبين أعضاء المجامع العلمية الأخرى من ناحية أخرى.

فالبعض يرى ماذا عسى أن تكون مميزات المعجم الوسيط؟ واللغة هي اللغة، والرواية هي الرواية!

والبعض الآخر يرى أن وضع هذا المعجم لا بد منه، لأن المعاجم الأخرى سواءً منها القديم أو الجديد قد وقفت باللغة عند حدود زمانية ومكانية محددة، حسب ما يمليه عصر الاحتجاج، بل إن معظم هذه المعاجم قد تصونت عن إثبات ما وضع المولدون والمحدثون في الأقطار العربية من الكلمات والمصطلحات والتراكيب، حتى قر في الدارسين أنفسهم أن اللغة قد كملت في عهد الرواية، واستقرت في بطون هذه المعاجم، فرأى المجمع العلمي . وهو الجهة اللغوية العليا. أن يتخذ جميع الوسائل الكفيلة بتحقيق الأغراض التي من أجلها أنشئ، وذلك بإنهاض اللغة العربية وتطويرها، بحيث تساير النهضة العلمية والفنية في جميع مظاهرها، وإصلاح موادها للتعبير عما يستحدث من المعاني والأفكار، وكان من بين هذه الوسائل اتخاذ قرارات لغوية هامة، منها:

1. فتح باب الوضع للمحدثين بوسائله المعروفة من اشتقاق، وتجوّز ، وارتجال.
2. إطلاق القياس؛ ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس.
3. تحرير السماع من قيود الزمان والمكان، ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع، كالحدادين والنجارين والبنائين، وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات.
4. الاعتداد بالألفاظ المولدة، وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء. ولهذا تهيأ لهذا المعجم ما لم يتهيأ لغيره من وسائل التجديد، واجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من خصائص ومزايا. وما إن صدرت الطبعة الأولى حتى أقبل عليها الدارسون والباحثون، ورحب المجمع بأي ملاحظة أو تعليق، وكون لجنة خاصة تسهر على هذا المعجم، وتجمع كل ما يمكن أن يجمع أو يثار حوله من ملاحظات. وعُنيت اللجنة المكلفة بذلك بإثبات الحي السهل المأنوس من الكلمات والصيغ، وبخاصة ما يشعر الطالب والمترجم بالحاجة إليه، مع مراعاة الدقة والوضوح في شرح الألفاظ أو تعريفها، وأدخلت اللجنة في متن المعجم ما دعت الضرورة إلى إدخاله من الألفاظ المولدة أو المحدثة، أو المعرّبة، أو الدخيلة، التي أقرها المجمع، وارتضاها الأدباء، فتحركت بها ألسنتهم، وجرت بها أقلامهم.

إن إثبات هذه الألفاظ في المعجم من أهم الوسائل لتطوير اللغة، وتنميتها وتوسيع دائرتها. ومهما يكن من أمر فإن هذا المعجم قد أثار نقداً ومعارضة، دعا إليه المتخصصون من اللغويين وأعضاء المجامع، فأبدوا ملاحظاتهم وآراءهم العلمية واللغوية، والمنهجية، فيها الفحص والتمحيص والنقد البناء.

وخلاصة القول هنا: إن صدور هذا المعجم قد أحدث ثورة فكرية غير عادية في الفكر العربي على امتداد الوطن العربي، أثرت الفكر العربي وقيّمته تقييماً دقيقاً، فيما تبنى من إدخال المعرب والدخيل والمولد، وحققت من الضوابط ما يمكن من التفرقة بين المولد والمحدث، والإقلال من احتمال التداخل بين هذا وذاك. وأضافت إلى المعجم طائفة كبيرة من أمهات المصطلحات العلمية.

(8) إن دراسة الخلافات النحوية تمكننا من إصلاح ومراقبة اللغة وتطورها، والسير بها في الاتجاه الصحيح: ما دمنا نمتلك قواعد ننطلق منها، وما دامت هذه القواعد تمتلك الأقيسة التي تمثل المعايير الصحيحة وخير مثال على ذلك ما تقوم به المجامع العلمية من أدوار في هذا المجال.

(9) إن من نتائج دراسة الخلافات النحوية بين المدرستين البصرية والكوفية إقامة المناظرات والمجالس[7] التي تدل على عنايتهم بتدقيق المسائل اللغوية والنحوية، وعلى تمسك كل فريق منهم برأيه وإقامة الحجة على مذهبه، ومن أمثلة هذه المناظرات: (المناظرة بين سيبويه ت (180) هـ والكسائي ت (189) هـ . وبين الجرمي ت (225) هـ والفراء ت (207) هـ . وبين الكسائي ت (189) هـ واليزيدي ت (202) هـ)[8]. كما أن هناك (صورة أخرى للجدال بين الفريقين، فيما وقع بين أبي العباس محمد بن يزيد المبرد البصري (210-286هـ)، وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الكوفي (200- 291هـ) تلميذ الفراء ت (207) هـ في مجالسهما العلمية ببغداد، وقد كسبت اللغة العربية من وراء ذلك الحجاج والنقاش احتجاجات لطيفة ودراسات خصبة انتفع بها المؤلفون في كتبهم، لتبيين الفروق بين المذهبين).[9]

ولعل ما حدث في مجلس آل برمك[10] من مناظرة بين الكسائي وسيبويه في المسألة الزنبورية المشهورة: (قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها)، والتي انتهت بإخفاق سيبويه -افتراءً- كان امتداداً لذلك التنافس الذي يحدث بين وفود الكوفة والبصرة في مجالس الخلفاء في بغداد، غير أن المناظرة بين الرجلين في هذه المسألة كانت ذات طابع علمي، فالمسألة الزنبورية كانت مدبرة من قبل الكسائي وأنصاره، فعندما سأل الكسائي سيبويه: أتسألني أم أسألك؟

فقال سيبويه: سل أنت.

قال له الكسائي: كيف تقول: قد كنتُ أظن أن العقرب أشد لسعةً من الزنبور، فإذا هو هي أو فإذا هي إياها؟

فأجاب سيبويه قائلاً: فإذا هو هي ولا يجوز النصب.

فرد الكسائي عليه مخطئاً له بقوله: العرب يرفعون وينصبون، فرفض سيبويه ذلك وأصر عليه، فقال يحيى بن خالد: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بيننا؟ فقال الكسائي: هاهم الأعراب في رحابك- وهم أفصح الناس، فأحضرهم، وسألهم عن ذلك؟ فأحضروا وأقروا الكسائي على إجابته- مؤامرة- ، فاستكان سيبويه قهراً.

وقد ذهب العلماء إلى الحكم على هذه المناظرة لصالح سيبويه مستدلين على ذلك بالقرآن الكريم، وبذلك يقول ابن هشام(ت761هـ)[11]: وأما سؤال الكسائي فجوابه ما قاله سيبويه، وهو: فإذا هو هي، هذا هو وجه الكلام مثل قول الله عز وجل:﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾[12]، وقول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [13]، وأما (فإذا هو إياها) - إن ثبت- فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء، وقد وصف ذلك ابن هشام (ت761هـ) بالخطأ والضعف والغرابة.

وهناك احتمالات متعددة في هذه المؤامرة منها:

1. إن الكسائي قد جاء بمن يؤيد رأيه من الأعراب، وقد جهزهم قبل المناظرة، وهذا يوضح أبعاد المؤامرة.

2. ربما لأن الأعراب يعلمون مكانة الكسائي عند الرشيد، فكانت نوعاً من المجاملة.
3. ربما أن الأعراب الموجودين قد تم رشوتهم، لأنهم قالوا : القول قول الكسائي، ولم ينطقوا بالنصب، وقد دافع سيبويه عن رأيه بطلبه من يحيى البرمكي أن يأمر الأعراب أن ينطقوا بالنصب لأن ألسنتهم لا تطوعهم. وهذه الاحتمالات كلها وغيرها واردة.

ثم تبعت هذه المناظرة مناظرات أخرى بين كوفيين استقروا في بغداد وبصريين حاولوا الاستقرار فيها. ومن هذه المناظرات:

- المناظرة التي جرت بين الكسائي ت(189) هـ وأبي محمد اليزيدي ت (202) هـ في مجلس الرشيد.
- المناظرة بين الأصمعي البصري ت (217)هـ ، وأبي عمرو الشيباني الكوفي ت(205) هـ .
- المناظرة بين الكسائي ت(189) هـ والأصمعي ت (217)هـ.
- المناظرة بين الأصمعي ت (217)هـ ت (217)هـ والفراء ت (207)هـ .
- المناظرة بين ثعلب ت (291) هـ والرياشي ت (257)هـ.
- والمناظرات التي جرت بين ثعلب ت (291) هـ والمبرد ت (285) هـ في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر.

إن هذه المناظرات قد أثرت الفكر العربي قديماً وحديثاً بما تمثله من جودة الطرح، وعرض الدليل، وتفنيد رأي الآخر وطرحه.

ويرى د/ سمير اللبدي، أن المناظرات والمجالس النحوية، كانت تهدف –في اعتقاده- إلى أحد أمور ثلاثة: [14]

1. تحقيق الغلبة والفوز لبلد على بلد.
2. تحقيق فوز فكري، أو نصر علمي يستهدف منه إشباع الغرور، أو رد الكرامة، أو رفع الشأن.
3. تحقيق أغراض مادية ودنيوية.

ولكن مهما يكن هناك من دوافع لهذه المناظرات أو المجالس، فقد كانت في واقعها السبب الحي في إيجاد حركة علمية قوامها التنافس الجاد، والإبداع البين، ومن هنا فقد تم إثراء الفكر من خلال تحريك وتقويم تلك المناظرات، لأن الهدف من هذه المناظرات - علاوة على ما ذكر - خدمة القرآن ولغة القرآن، لأن دور المناظرة يكمن في تجلية الحقيقة والإفصاح عنها خدمة لكتاب الله وللغة القرآن الكريم.

وقد ذكر د/ محمد سمير اللبدي كثيراً من المناظرات التي دارت في تراثنا[15]، ولعل من فوائد تلك المناظرات العلمية ما تراه من مزالق لغوية كان العلماء يقعون فيها[16] حتى ما يدور منها حول آيات القرآن الكريم.

إن ما دار في هذه المجالس اللغوية من بحوث ومناقشات واستنتاجات وتعديل آراء ليدل دلالة واضحة على ما أحدثته هذه المجالس من ثورات في إثراء الفكر العربي وتطور هذا الفكر.

كما أن من نتائج دراسة هذه الخلافات بين المدرستين إثراء المجالس العلمية اللغوية، ومن ذلك ما دار بين الكسائي ت (289) هـ والأصمعي ت (217) هـ في مجلس الرشيد، وكذلك مجلس أبي العباس ثعلب ت (291)هـ مع أبي العباس المبرد ت (285)هـ.

(10) إن من نتائج دراسة المسائل الخلافية بين المدرسين إيجاد وتأسيس مدارس أخرى، مثل مدرسة بغداد ومدرسة مصر ومدرسة الأندلس وغيرها، إذ كانت نشأة كل مدرسة إما ردّ فعل، أو مقارنة بين المدرستين،

والخروج برؤية جديدة، إذ تمثل هذه الرؤية الجديدة مدرسة جديدة في النحو العربي، ومن ذلك ما جاء به النحويون في بغداد، إذ ناقشوا البصريين والكوفيين، ووازنوا بين المدرستين، واختاروا لهم مدرسة خاصة بهم معلنين تأسيسها. فالمدرسة البغدادية . كما يرى الدكتور شوقي ضيف[17] . تداولها جيلان؛ أما الجيل الأول فغلبت عليه النزعة الكوفية؛ وهم الذين درسوا النحو البصري ومزجوا بين النحويين. أما الجيل الثاني فهم الذين غلبت عليه النزعة البصرية، فكانت المدرسة البغدادية مزيجاً من التسديد والمقاربة بين المدرستين علاوة على اجتهاداتهم الخاصة.

أما الدكتور مهدي المخزومي فيرى أن البغداديين هم الكوفيون إذ يقول: (فالبغداديون إذن هم الكوفيون، وطريقة البغداديين في الدرس النحوي هي طريقة الكوفيين، ولم تمثل البغدادية مذهباً يختلف عن مذهب الكوفية فالمذهب واحد، والطريقة واحدة)[18].

(11) ومن نتائج دراسة الخلافات بين المدرستين ربط الدرس النحوي العربي بالمجالات الأخرى كلها التي تسعى إلى فهم النص، ومن هنا فإن دراسة منهج النحو- عند العرب - لا تكون صحيحة إلا مع اتصالها بدراسة العلوم العربية الأخرى[19]، وبخاصة (الفقه والكلام). إلا أن الجنوح بالنحو العربي نحو الجانب الفلسفي أمر لا أوافقه ولا أومن به شخصياً، إذ أن (مما تورط فيه النحاة قداماهم ومحدثوهم . إلا فريقاً من أهل الكوفة . ، تعليل الأحكام النحوية بالعلل الفلسفية، مثل قولهم: إن الفاعل يجب أن يتأخر عن الفعل لأن الفعل عامل فيه، والمؤثر يجب أن يتقدم على المتأثر به، وهذا حكم عقلي لا لغوي)[20].

ومن هنا فإن إلزام النحويين للناس قواعد هي من نتاج النظر العقلي وحده، وإهمالهم للحلول اللغوية التي هي أجدر بالبحث والدراسة كانت نتيجة ذلك تعقيد مسائل النحو وصعوبته[21].

بل إن الدرس النحوي في البصرة بدأ ينضج في هذه البيئة التي جعلت العقل وأحكامه فوق هذه الاعتبارات جميعها[22]، ويتأثر بأساليبه، وإذا عرفنا كثيراً من النحاة كانوا من المتكلمين أدركنا عمق الصلة بين الدرس النحوي وأساليب المنطق والكلام، ومدى تأثره بأساليب المتكلمين والنظار، وكان الدارس النحوي يزداد اتصالاً بالفلسفة والمنطق حين خضع لأسلوبها خضوعاً كاملاً عند نحاة القرن الرابع الهجري. غير أن الدرس النحوي في بغداد ظل أميناً على منهجه، بعيداً عن التأثر بأساليب المتكلمين على الرغم من أن شيخ هذا الدرس وباني نهجه هو أبو زكريا الفراء (ت210هـ) كان واحداً من المتكلمين. إلى أن جاء المبرد إلى بغداد، وغرس في المتعلمين أنفسهم النحو البصري المتأثر بالفلسفة، والقائم على الجدل والتعليل والاحتجاج، واستطاع المبرد أن يلفت أنظار وانتباه الدارسين إليه من خلال استعماله أساليب الجدل والقياس والتعليل.

(12) إن من نتائج دراسة الخلافات النحوية معرفة ما في لغات العرب التي نزل بها القرآن الكريم من ظواهر صوتية أو صرفية أو تركيبية، ظهر ذلك من خلال الجمع والتصنيف والموازنة بين هذه اللغات، وما كتب حول هذه الظواهر من بحوث ومناقشات، وندوات واستنتاجات حركت عقلية الأمة من ناحية، وأثرت الفكر العربي من ناحية، وطورت في ألفاظ اللغة من ناحية أخرى.

(13) إن النحويين في الكوفة عادوا من البدو يحملون نحو البصرة بمادته وأصوله ومنهجه وأقيسته، وما أضافوا عليه من سماعهم للأعراب، وبناءً على هذا

المنهج الجديد الذي يعتمد على التوسع في السماع، والتوسع في القياس، وبما أوجدوه من تسميات جديدة لبعض أبواب النحو وأقسامه. مثّل نوعاً من إثراء اللغة من ناحية، وطرحاً لوجهة النظر الأخرى التي تطرح رأيها ودليلها من ناحية أخرى، ومن هنا تم إثراء الفكر اللغوي العربي، وفتح المجال للأخذ والرد والاجتهاد.

وقد بدأ هذا النشاط النحوي بداية حقيقية مع الكسائي وتلميذه الفراء، فهما اللذان رسما حدود النحو الكوفي ووضعا أسسه وأصوله[23]، بحيث أصبح للكوفة مدرسة خاصة لها طابعها الخاص من حيث الاتساع في الرواية، والاتساع في القياس.

(14) كما أن من النحويين من ناقش البصريين والكوفيين، وقارن واختار له مدرسة أخرى، وهؤلاء هم البغداديون[24] مع أن الدكتور مهدي المخزمي يرى أن البغداديين هم الكوفيون[25] لأنهم يقفون مع الكوفيين في أكثر مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين، ولم يذكر لهم رأياً يناقض رأي الكوفيين. غير أن هذه التسمية جازت على الدارسين المحدثين فراحوا يفلسفون المسألة ويرسمون خطوطها. بل إن الدكتور مهدي المخزومي لم يجد في دعوة ابن مضاء القرطبي إلا بعثاً لنحو الكوفيين وآرائهم[26]، وطريقتهم في تناول موضوعات النحو بالدرس.

(15) كما أن من نتائج دراسة الخلافات بين المدرستين البصرية والكوفية ظهور مدرسة القراء النحوية، قامت فيها دراسات لغوية ونحوية تناولت ما في هذه القراءات من دراسات لغوية ونحوية، وما يترتب على اختلاف هذه القراءات من اختلافات في المعنى؛ هذه قضية، بل من النحويين من كان له موقف من القراءات القرآنية، إذ (توسع الفراء خاصة في تخطئة العرب بعضهم وإنكار بعض القراءات الشاذة، وكان ينفذ أحياناً إلى أحكام لا تسندها الشواهد والأمثلة، وهو يعد بحق إمام الكوفيين)[27]، كما أن المبرد ت (285) هـ- آخر أئمة المدرسة البصرية النابهين- ينكر كذلك القراءات القرآنية الشاذة[28] مثل أستاذه المازني ت (249) هـ والفراء الكوفي ت (217)هـ من قبله ؛ الذي يتوقف -أحياناً- إزاء القراءات القرآنية الشاذة بعضها ليس من باب الطعن في تلك القراءات كما قد يظن البعض؛ بل كان الهدف كما يرى د. شوقي ضيف[29] هو التثبت الدقيق إزاء ما رسم في المصاحف.بينما نجد البغداديين على عكس هؤلاء، فقد كانوا يجعلون من القراءات مصدراً مهماً من مصادرهم في اللغة[30]، لا يرفضون قراءة صح سندها، ولا يطعنون على قارئ، ولا يرمونه بالجهل إذا كانت تخالف الأصول الموضوعة، ويرجع اعتدادهم بالقراءات لأن الكسائي والفراء كانا قد نشأ في الكوفة، وكانت الكوفة موطن القراءات، والكسائي ت (289) هـ واحد من أئمة القراءات ومعه عاصم بن أبي النجود وحمزة بن حبيب الزيات ت (156) هـ.

كما أن هناك قضية أخرى أثيرت في الفكر العربي تتمثل هذه القضية في أن من النحويين من كان له موقف من القراءات القرآنية.

إن مجالس الدرس في بغداد الذي اعتمد على السماع والنقل أصلاً من أصوله لم يكن لينهج هذا النهج إلا لأن أعلامه كانوا من القراء[31]، وليس للقراء سبيل في دراستهم غير الرواية والنقل الصحيح، أما الاعتبارات العقلية التي أخذ بها البصريون فحكّموها في تقعيد قواعدهم، ووضع أصولهم فلا سبيل لها إلى القراءة، ولا إلى نحو القراء الجديد، فالكسائي خالف

البصريين لأنه اعتمد القراءات القرآنية، ورخص في قبول الشاذ منها والنادر والغير مسموع[32]، مستبعداً الاعتبارات الفلسفية عن التدخل في النحو العربي غير معترف بمن ينادي بعودة القراءات إلى النحو.

ويبدو لي أن اعتماد البصريين على القياس هو الذي يفسره موقفهم من القراءات القرآنية، فقد كانوا يتناولون القراءات كما يتناولون المسموعات من العرب،[33] فإن انتظمتها الأصول قبلوها، وإن لم تخضع لتلك الأصول وصفوها بالشذوذ أو الخطأ أو اللحن، وطعنوا على القراء ورموهم بالجهل بالعربية . وليس عيباً أن يسمع الكسائي الشاذ فيأخذ به، وأن يقف الفراء من القراءات موقف المتقبل لأن لغة القرآن عنده أوضح أساليب العربية، وأن القراءات أعرب وأقوى في الحجة من الشعر.

والحق أن القراءات الشاذة هي ما شذ عن الصحيح لأي سبب من الأسباب، فهي ليست قرآناً يتعبد به، بل نجد أن هذه القراءة تنزل من مرتبة الشاهد إلى مرتبة المثال[34]، وتتساوى في قوة الاستدلال بها مع البيت الشعري المنسوب إلى قائل معين، وتظل هذه القراءة أقوى وأجدر بالاستدلال والاستشهاد من شاهد شعري أو نثري لم يعرف قائله، فهي حجة على اللغة ولا حجة لها في التلاوة.

(16) إن ما حدث في الأندلس من دراسة لكتاب سيبويه في بادئ الأمر، إذ انصرفوا إليه دراسة وحفظاً وشرحاً واختصاراً، وعناية بشواهده وما فيه من آراء، إذ أثار حركة نحوية دائبة امتدّت بامتداد الدرس النحوي في الأندلس، فالكتاب (ثروة منظمة ضخمة للدارسين في اللغة والأصوات والنحو والتصريف)[35].

(17) كما أن ثورة ابن مضاء القرطبي ت(592)هـ على النحو المشرقي كان نتيجة من نتائج دراسة المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين، فأثرى الفكر اللغوي والنحوي.

فابن مضاء القرطبي .رحمه الله . كان ثائراً على النحو العربي وعلى نظرية العامل عند سيبويه ونحاة المشرق[36]، وهذه الثورة هي امتداد لثورة دولة الموحدين التي كانت تعتنق المذهب الظاهري الذي ينكر العلل والأقيسة في الفقه والتشريع، فمضى ابن مضاء القرطبي على هدي هذا المذهب ينكر -في إصرار- نظرية العامل في النحو العربي، وما يتصل بها من العوامل المحذوفة والعلل والأقيسة والتمارين غير العملية، مع أن د. مهدي المخزومي[37] لم يجد في دعوة ابن مضاء القرطبي إلا بعثاً لنحو الكوفيين وآرائهم وطريقتهم في تناول موضوعات النحو بالدرس -كما ذكرت- .

(18) أتاحت دراسة هذه الخلافات للفكر العربي الاستقراء والتحليل والاستنباط، ووضع الأقيسة المنطقية ووضع القواعد، إذ استعملت العقل الإنساني على أوسع نطاق في مناقشة هذه الخلافات.

والحقيقة أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) قد تحدث عن هذه القضية فنجد عنده الاستقراء والقياس والعلة النحوية، والاستدلال، والتأويل، والافتراض[38].

فالقياس عند الخليل أكثر منطقية وانسجاماً، ويقصد به عنده حمل ظاهرة على ظاهرة لعلة جامعة بينهما، فهو يكثر من الأقيسة ويجنح لها في الاستنباط، ويفسر الظواهر ويرفضها، وهي وظائف ثلاث للقياس، فقياس الخليل يقوم على ملاحظة السمات المتشابهة في ظواهر اللغة، واستنباط أحكام المقيس من المقيس عليه، ويجمع بين المتباعدات في الظاهر، ومن هنا فالخليل يذهب مذهباً بعيداً عن

مواقع اللغة ومنطقها إلا أنني أؤمن بأنه ليس من حقنا أن نحاكم الخليل بن أحمد الفراهيدي في عصره بما نحن عليه في عصرنا!!!

أما العلة النحوية فهي حيناً أسلوب من أساليب الاستنباط عند الخليل، وهي طور تفسير الظواهر، مع ملاحظة كثرة ركائز العلة اللغوية على دفع الالتباس، وكثرة الاستعمال، وإيثار الخفة، والتعويض واعتماد الدلالة، والبنية الخارجية، والظواهر الصوتية والتوهم.

ويبدو أن الخليل بن أحمد انطلق متأثراً بالفقه وعلم الكلام، إذ نجد عنده الحمل على النظير، والاستدلال بالأولى، وهو ضرب من الأقيسة، كما أن التأويل أسلوب فقهي آخر إذ صار التأويل أسلوباً منهجياً في دراسة ظواهر اللغة، كذلك الافتراض أسلوب فقهي معروف لكن هذا الأسلوب لا يخلو عند النحويين ونجد ذلك في الاحتمالات الإعرابية أكثر وضوحاً.

والحقيقة أن أقيسة البصريين النظرية البحتة[39] قد ألجأتهم -في كثير من الأحيان- إلى التأويل والتقدير بشكل صارخ، وحملتهم على رفض كثير من الشواهد العربية الصحيحة، إلا أن الكوفيين جوزوا في الظاهرة اللغوية الواحدة أكثر من وجه أحياناً. وهذا من شأنه أن يوقع الاضطراب والفوضى والانحراف عن الهدف المنشود في رسم ضوابط اللغة، ومعروف في تاريخ النحو أن البصرة هي المدرسة التي وضعت أصول القياس النحوي[40]، وأنها سعت إلى أن تكون القواعد مطردة اطراداً واسعاً إلا أن الكوفيين كانوا أقرب إلى الواقع اللغوي، وإلى المنهج النحوي الصحيح مما ذهب إليه البصريون.

(19) أتاحت دراسة هذه الخلافات بين المدرستين الاهتمام بدارسة مصادر الاحتجاج، ووضع معايير زمانية ومكانية خاصة بالشعر العربي الذي يمثل مصدراً من مصادر الاحتجاج، إذ أوضحت الدراسة التي تناولت هذه القضية، وحددت الشواهد الشعرية المقبول منها وغير المقبول؛ وعلى كل حال فمصادر النحو العربي أربعة[41]:

1- القرآن الكريم.
2- كلام العرب شعراً ونثراً.
3- الحديث النبوي الشريف.
4- القياس.

أولاً: القرآن الكريم:

هو المصدر الأول للغة، وبه عرفت، بل من أراد أن يتقن اللغة فعليه أن يتقن القرآن الكريم، فالقرآن مصدر ألفاظها وصرفها ونحوها، بل هو مرتكز النحو العربي، لأن القاعدة النحوية التي تدعم بدليل قرآني يعطيها هذه الدعم صفة القطعية والثبوت من ناحية، والقول الفصل من ناحية ثانية. فالقرآن يرجع إليه النحويون في تصنيف القوانين واستخراج الأصول، ويكفي هذا المرجع أنه:﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾هود: (1)

ثانياً: كلام العرب:

مصدر تاريخي ومنطقي للغة، فالقاعدة لا يؤخذ بها ما لم تكن مستندة إلى أقوال العرب، بل إن صفة القياس لم تكن كذلك ما لم تدعم بالقرآن وكلام العرب، بل إن وضع القواعد النحوية انطلق من الحفاظ على كلام العرب الفصحاء، ولهذا كان لا بد من التنقل بين العرب البدو لتأخذ اللغة سليمة نقية، ومن هنا كان لا بد من حصر هذه القضية زماناً ومكاناً، ومن هنا سمعنا ما يسمى بعصر الاحتجاج، ولهذا كان العصر الجاهلي ملك العصور

بلا منافس، بل إن نحو العرب يجب أن يؤخذ من كلام العرب - وهذا هو الوضع الطبيعي- .

ثالثاً: الحديث النبوي الشريف:

يأتي الحديث النبوي بعد كلام الله عز وجل فصاحة وبلاغة وصحة تعبير ، وكان ينبغي أن يكون المصدر الثاني من مصادر اللغة المسموعة في الاحتجاج[42]، وقد وقف النحويون حيال هذا المصدر فريقين:

- فريق يأخذ بالحديث كمصدر للغة، وفريق آخر يرفض الأخذ بهذا المصدر للأسباب الآتية:

1. جواز رواية الحديث بالمعنى دون التقيد باللفظ، وهذه القضية هي التي جعلت النحويين يترددون بالأخذ بالحديث؛ لأن الحديث لو أخذ باللفظ لكان أفصح مصدر بعد القرآن الكريم لأن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب.
2. كثرة الأحاديث الموضوعة التي لا يؤمن جوانبها والتي لا يحسن الاستشهاد بها.
3. وقوع اللحن كثيراً في الأحاديث الشريفة لأن كثيراً من رواتها عجم.

- أما الفريق الذي يأخذ بالحديث النبوي الشريف كمصدر من مصادر الاحتجاج، فيرى أن الأحاديث أحيطت بضبط في الرواية، وتشديد في النقل يجعلها بعيدة البعد كله عن اشتباه أو شك.

إن الأحاديث التي يستشهد بها في اللغة هي الأحاديث التي دونت مادتها في الكتب الستة الصحاح[43] بشرط أن تكون هذه الأحاديث من الأحاديث المتواترة، والأحاديث التي تستعمل في العبادات، والأحاديث التي يخاطب بها الرسول صلى الله عليه وسلم قوماً بلغتهم، والأحاديث التي تعد من جوامع الكلم، والأحاديث التي دوّنها من نشأ بين العرب الفصحاء، والأحاديث التي رويت بطرائق متعددة وألفاظها واحدة.

إن هذه القضية التي تم مناقشتها على مستوى المجامع العلمية (مجامع اللغة العربية) تدل دلالة واضحة على مدى أهمية هذه القضية وغيرها في إثراء الفكر العربي وتحديد أطره ومهماته، بل ألف فيها كثير من علماء اللغة، وأفردوا لها كتباً منهم د. محمد ضاري حمادي[44] و الدكتورة خديجة الحديثي[45].

رابعاً: القياس:

يعد القياس من المصادر المهمة التي قام عليها علم النحو، وبنى عليه قواعده، بل إن القياس سبب في تكوين ثروة ضخمة من القواعد النحوية التي كان لها دور في الحفاظ على اللغة من ناحية، وإثرائها من ناحية أخرى، ومن هنا فالقياس بالنسبة للغة مصدر عظيم، يعمل على معالجة أدوائها، وإزالة مشكلاتها[46] لتكون قادرة - فيما بعد- على التهام كل جديد تفرضه حضارة الوقت ومدنية الإنسان.

(20) إن دراسة الخلافات النحوية بين البصريين والكوفيين فتحت أمامنا الأبواب في معالجة أبواب النحو وتيسيره، وتذليل صعوباته ومشكلاته.

فهذا د/شوقي ضيف -رحمه الله- يضع تصنيفاً للنحو العربي على ضوء آراء ابن مضاء القرطبي[47]، أقامه على ثلاثة أسس:

أولاً: تنسيق أبواب النحو بحيث يستغني عن طائفة منها بردها إلى أبواب أخرى.

ثانياً: إلغاء الإعراب التقديري في الجمل، وكذلك في المفردات مقصورة ومنقوصة ومبنية.

ثالثاً: أن لا تعرب كلمة لا يفيد إعرابها شيئاً في تصحيح الكلام والنطق به نطقاً سديداً.

إن الهدف من تيسير النحو – لدى المخلصين من أبناء هذه الأمة – هو عرض النحو عرضاً حديثاً (ينسق أبوابه، ويذلل صعابه، وييسر قواعده، ويستدرك نواقصه)[48] والحق أن ابن مضاء القرطبي فتح بثورته الأبواب نحو تيسير النحو وتذليل صعوباته ومشاكله.

وهذا ما دفع إبراهيم مصطفى – رحمه الله- إلى وضع تصور لإحياء النحو العربي، الذي قال عنه طه حسين في تقديمه لكتاب (إحياء النحو): (فالكتاب – كما ترى- يحيي النحو لأنه يصلحه، ويحيي النحو لأنه ينبه إليه من اطمأنوا إلى الغفلة عنه، وحسبك بهذا إحياء)[49].

فكان هذا الإحياء رد فعل للتبرم بالنحو، والضجر بقواعده، وضيق الصدر بتحصيله، على أن ذلك من داء النحو قديماً، ولأجله ألف التسهيل والتوضيح والتقريب، واصطنع النظم لحفظ ضوابطه، وتقييد شوارده[50].

وعلى هذا الأساس انطلق الدكتور مهدي المخزموي في نقد النحو وتوجيهه، إذ يقول: (على هذا الأساس بنيت نقدي أعمال النحاة، ومناقشتي أحكامهم، وعليه حاولت توجيه الدرس النحوي إلى الوجهة اللغوية التي أراها أشبه بطبيعته).[51]

فتيسير النحو عند الدكتور/ مهدي المخزوي[52] - وأنا معه- ليس اختصاراً ولا حذفاً للشروح والتعليقات، ولكنه عرض جديد لموضوعات النحو ييسر للناشئين أخذها واستيعابها وتمثلها، ولن يكون التيسير وافياً بهذا ما لم يسبقه إصلاح شامل لمنهج هذا الدرس وموضوعاته، أصولاً ومسائل، ولن يتم هذا –فيما يرى- إلى تحقيق هاتين الخطوتين:

الأولى: أن نخلص الدرس النحوي مما علق به من شوائب جرها عليه منهج دخيل، وهو منهج الفلسفة الذي حمل معه إلى هذا الدرس فكرة العامل.

والثانية: أن نحدد موضوع الدرس اللغوي، ونعين نقطة البدء به، ليكون الدارسون على هدى من أمر ما يبحثون فيه.

ومن هنا فقد انطلق الدكتور/ مهدي المخزمي من نقد أعمال النحويين ومناقشته لأحكامهم التي أقاموها على أساس من فكرة العامل من ناحية، وتوجيه النحو العربي إلى الوجهة التي تنطلق من طبيعته من ناحية ثانية.

(21) إن دراسة الخلافات النحوية بين المدرستين فتحت المجال لدراسة الحديث النبوي الشريف، وهل يستشهد به أم لا؟ ولماذا؟ نجد ذلك جلياً عند البصريين[53] الذين كان لهم موقف من الأحاديث التي تخالف أصولهم، ورفضهم الاستشهاد بها بحجة أن الأحاديث إنما رويت بالمعنى، وأن كثيراً من حملتها لم يكونوا عرباً، فلم يؤمن اللحن أن يتطرق إلى رواياتهم.

ويرى الدكتور مهدي المخزومي أن المانعين كانوا قد اجتهدوا فأخطؤا[54]، لأن حجتهم في المنع افتراضيات لا تتصل بواقع الحال بسبب، لأن رواية الحديث بالمعنى ليست سبيل المحدثين جميعاً، ثم إن كثيراً من حملة الحديث ورواته كانوا في مرتبة عالية من الفصاحة، أما المحدثون من غير العرب فلم يجازوا إلا بعد الاطمئنان إلى أنهم كانوا غاية في الضبط والإتقان.

(22) إن دراسة الخلافات النحوية جعلت أبا حيان يتخذ من المذهب الظاهري منهجاً له في دراسة النحو واللغة؛ وهذه فكرة جديدة تطل برأسها على النحو العربي –بصرف النظر عن مدى صحتها أو عدم صحتها– !!

الخاتمة

يبدو أنه قد آن الأوان لأن أقول:

إن دراسة المسائل الخلافية للنحو العربي قد أحدثت ثورة في الفكر العربي ما تزال مفتوحة بانفتاح هذا الفكر، وعميقة بعمقه، وحيّةً بحياة هذه الأمة وكتابها الخالد الذي قدّم للعالم أجمع دروساً في حرية الفكر، وحرية الاستنباط، وحرية التحليل، وحرية التأويل، وحرية الأخذ والرد مادام مستنداً إلى دليل... وقد توصل هذا البحث المتواضع إلى نتائج متعددة منها:

(1) أحدثت دراسة الخلافات النحوية ثورة عنيفة في الفكر العربي، ما زالت أحداث هذه الثورة مفتوحة وستظل مادام الفكر العربي حياً ومتوقداً.

(2) على الباحث أن يضع المذاهب النحوية كلها أمام نظره، وأن يتخير ما هو أقرب إلى طبيعة اللغة وطبيعة المعنى بصرف النظر عن القائل، وعن أي مدرسة ينتمي إليها.

(3) القراءة حجة على اللغة والنحو وليس العكس، ومن عارض قراءة فلا شك مخطئ.

(4) القراءة القرآنية سنة متبعة، لا تصحح بالقياس، ولا تخضع للتعليل.

(5) البغداديون هم الكوفيون –ولا فرق– فالكسائي والفراء هما من أقاما الدرس النحوي في بغداد.

(6) اللغة العربية حية؛ لأن خصائصها حية، ولأن القرآن مصدرها، وحياتها بحياة القرآن الخالد.

(7) المعنى يتحكم في النحو وليس العكس.

هوامش الدراسة:

1. ينظر: المدارس النحوية، د/خديجة الحديثي: 454- 455، مطبعة جامعة بغداد. بغداد. الطبعة الثانية. (1410هـ. 1990م).
2. ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين. أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري. شرح وتعليق محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. (1407هـ. 1987م).
3. ينظر: الدرس النحوي في بغداد: 9، الدكتور مهدي المخزومي. دار الحرية للطباعة والنشر. بغداد. (1395هـ. 1975).
4. ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات: 10- 11، الدكتور حسام سعيد النعيمي. بيت الحكمة. بغداد. 1989م.
5. ينظر: مناهج البحث اللغوي. الدكتور نعمة رحيم العزاوي. ص32- 33. منشورات المجمع العلمي العراقي. مطبعة المجمع العلمي. 1421هـ- 2001م.
6. ينظر: المعجم الوسيط – الجزء الأول- مقدمة الطبعة الثالثة- مجمع اللغة العربية. 1405هـ. 1985م.
7. ينظر: الوسيط في تاريخ النحو العربي: 104- 112. الدكتور عبد الكريم محمد الأسعد. دار الشواف للنشر والتوزيع. الرياض. الطبعة الأولى. (1413هـ. 1992م).
8. ينظر: الإنصاف: 702/2، ومغني اللبيب: 88/1- 93 ابن هشام الأنصاري ت(761هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا بيروت. (1407هـ. 1987م)، وينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: 6 الدكتور مهدي المخزومي.

دار الرائد العربي . بيروت . لبنان . الطبعة الثانية (1406هـ. 1986م). .

9. في النحو العربي نقد وتوجيه: 6.

10. ينظر: الدرس النحوي في بغداد: 12- 13، الدكتور مهدي المخزومي . دار الحرية للطباعة والنشر. بغداد . (1395هـ. 1975).

11. ينظر: مغني اللبيب لابن هشام: 1/88- 92. وينظر أثر القرآن والقراءات في النحو العربي: 164- 166 ، الدكتور محمد سمير اللبدي . دار الكتب الثقافية . الكويت . الطبعة الأولى . (1398هـ. 1978م)..

12. طه: 20.

13. الأعراف: 108.

14. ينظر: أثر القرآن الكريم والقراءات في النحو العربي: 156- 157.

15. ينظر المصدر نفسه: 159- 166.

16. ينظر المصدر نفسه: 158.

17. ينظر: المدارس النحوية- د.شوقي ضيف: 369 دار المعارف. الطبعة السادسة القاهرة 1989م..

18. الدرس النحوي في بغداد: 7.

19. ينظر: دروس في المذاهب النحوية: 10، الدكتور عبده الراجحي . دار النهضة العربية . بيروت . 1980م..

20. في النحو العربي نقد وتوجيه: 8، الدكتور مهدي المخزومي. دار الرائد العربي. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية (1406هـ. 1986م).

21. ينظر: المصدر نفسه: 9.

22. ينظر الدرس النحوي في بغداد: 77- 80.

23. ينظر: المدارس النحوية. شوقي ضيف : 318.

24. ينظر: ألمدارس النحوية . شوقي ضيف: 151- 242.

25. ينظر: الدرس النحوي في بغداد: 252.

26. ينظر: المصدر نفسه: 250.

27. المدارس النحوية: د. شوقي ضيف: 6.

28. ينظر: المصدر نفسه: 367- 368.

29. ينظر: المصدر نفسه: 369.

30. ينظر: الدرس النحوي في بغداد: 57.

31. ينظر: الدرس النحوي في بغداد: 15.

32. ينظر: المصدر نفسه: 20.

33. ينظر: المصدر نفسه: 53.

34. ينظر: أثر القرآن والقراءات في النحو العربي: 381.

35. في النحو العربي نقد وتوجيه: 7.

36. ينظر: الرد على النحاة: 3- 4، لابن مضاء القرطبي . تحقيق الدكتور شوقي ضيف . دار المعارف . القاهرة الطبعة الثانية . 1982م..

37. ينظر: الدرس النحوي في بغداد: 250.

38. ينظر: المفصل في تاريخ النحو العربي: 283- 300 ، الجزء الأول . د. محمد خير الحلواني . مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. 1979م.

39. ينظر: خطى متعثرة على طريق تجديد النحو: 198- 199- د. عفيف دمشقية –دار العلم للملايين- بيروت – الطبعة الثانية- مارس 1982م.

40. ينظر: دروس في المذاهب النحوية: 11- 12.

41. ينظر: أثر القرآن الكريم والقراءات في النحو العربي: 31.

42. ينظر: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف: 14، الدكتورة خديجة الحديثي . دار الرشيد للنشر. 1981م.

43. ينظر: أثر القرآن والقراءات في النحو العربي: 43، الكلام نقلاً عما صدر من قرار عن المجمع العلمي بخصوص هذه القضية.

44. ينظر: الحديث الشريف في الدراسات اللغوية . د. محمد ضاري حمادي. رسالة مطبوعة. كلية الآداب جامعة بغداد. نيسان 1973م.

45. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف . د.خديجة عبد الرزاق الحديثي. الجمهورية العراقية. وزارة الثقافة والإعلام. دار الرشيد للنشر. 1981م.

46. ينظر: أثر القرآن والقراءات في النحو العربي: 48.

47. ينظر: الرد على النحاة: 4- 9.

48. ينظر: المصدر نفسه: 6.

49. أحياء النحو: (ع) من المقدمة، الدكتور إبراهيم مصطفى. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. 1959م.

50. ينظر: المصدر نفسه: (ب) من المقدمة.

51. في النحو العربي نقد وتوجيه: 18.

52. ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: 15- 16.

53. ينظر: الدرس النحوي في بغداد: 54.

54. ينظر: الدرس النحوي في بغداد: 69.